العملة النادرة

نحن نعرف أن هذا العنوان هو أسلوب أو كلمة دارجة على الألسنة للشيء الذي يندر وجوده مع حسنه وكماله ، فإذا وجد الناس رجلاً شهماً كريماً ، قال بعضهم في وصفه أنه " عملة نادرة " ، وإذا رأوا بين الناس رصيناً حليماً يتنازل عن حقه ابتغاء مثوبة الله عز وجل ، قالوا إن مثل هذا التصرف عملة نادرة.

وليس المقصود على كل حال العملة النادرة التي لا قيمة لها ولا يشترى بها ؛ لأن العملة القديمة وإن كانت قديمة قد تكون قيمتها في أثريتها – كما يقولون – فنريد أن نقف على المعنى ، وهو ما هي هذه العملة النادرة التي عزّ وجودها رغم أهميتها ، ورغم حاجتنا إليها ، ورغم امتلاء حياتنا بها ، ورغم آثارها الحسنة المرتقبة في أنفسنا وفي مجتمعاتنا ؛ لعل ما يدور في الأذهان الآن عدد كبير من الإجابات أو التصورات..
وأحسب أننا – ونحن في مثل هذه الأماكن الطيبة في بيوت الله عز وجل في هذه المنابر التي هي للوعظ والتذكير – ولطرح قضية الإسلام والمنهج الإسلامي لابد أن تتصرف أذهاننا إلى أن العملة النادرة هي من هذا الباب وفي هذا الميدان!

وأقول حتى لا يطول بنا الحديث : إنها القدوة الحسنة التي في الجملة قد عزّ وجودها مع كمالها ، والتي سنسلط الضوء عليها لا من وجه وصفها ، ولا من وجه طريقتها أو تحققها وإنما من وجه ندرتها وأسباب ذلك وما يتصل ..فسيكون أول وقفة لنا عن القدوة المتوفرة:
نظرة إلى الوراء في تاريخنا الطويل الممتد الذي توافرت فيه القدرات في مجالات متعددة ، وبمراتب عالية وفي ذرى سابقة ؛ حتى كان تاريخ المسلمين صفحات مشرقة بالضياء والنور مسجّل فيها مآثر العز والحضارة بمداد الذهب ، ولا يزال يشع نورها ، وما تزال تنتشر آثارها لمن رجع إليها واقتبس منها ، وتلمس الطريق إلى العزّة من خلالها ؛ وحتى نعطي ومضات لهذه القدوة المتوفرة نقف وقفات ثلاث:
أولها : مع القدوة العظمى رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن الله جلا وعلا قال لنا : { لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً.}

ولقد كان محمد صلى الله عليه وسلم القدوة في كل ميدان من الميادين ، وقد جمع الله عز وجل فيه ما تفرق من الكمالات في البشر كلهم ، فجعله الله سبحانه وتعالى أكمل الخلق ، وكان عليه الصلاة والسلام أحسن الخلق خلقاً وخُلقاً ، وأكملهم روحاً وعقلاً ، وأسددهم مشورة ورأياً ، وأخلصهم نية وقصداً ، وكان عليه الصلاة والسلام قدوة في كل الميادين ؛ فهو النبي الكريم والأب الرحيم والزوج الصالح ، والداعية الناجح ، والسياسي البارع ، والقائد المحنك ، والخطيب المفوّه ، والمعلم المثالي ، والمربي الكامل ، والصديق الرفيق ، والأخ الشفيق ..كان عليه الصلاة والسلام حليماً مع تواضعه ، مهيباً مع رحمته ،وفياً في علاقته ، عادلاً في محاكمته ، محسناً في معاملته ، جميلاً في خلقته ، حاز كمال البشرية كله ، وتربع على عرش العظمة في كل باب من الأبواب النفسية والعقلية

والعملية ، وكان - عليه الصلاة والسلام – شمس هداية أشعت على هذا الكون فأضأت جنباته ، وكان نور رحمة ورعاية أشرقت به قلوب أهل الإيمان ، وهديت به بصائر أهل الإسلام ، وكان هو – ولا زال عليه الصلاة والسلام – قدوتنا الأولى والمثلى .. ولئن فات أجيال الإسلام المتعاقبة أن تتشرف بشرف صحبته ومرافقته عليه الصلاة والسلام ، وشرف خدمته والعمل في دعوة الله عز وجل تحت إمرته ؛ فإن سيرة النبي صلى الله عليه وسلم واضحة جلية ، لا يخفى منها شيء فإنه عليه الصلاة والسلام – كما قال أهل السير والتواريخ – ولد في ضوء الشمس نحن نعرف النبي صلى الله عليه وسلم وهو في أسرته وبيته ، ونحن نعرف النبي عليه الصلاة والسلام في يقظته ومنامه ، ونعرفه في شدته ولينه ، وفي حلمه وغضبه ، وفي سلمه وحربه ، ونعرفه عليه الصلاة والسلام مع أزواجه وأبنائه ، ونعرفه مع رفقائه وأصحابه ، ونعرفه مع خصومه وأعدائه ، نعرفه عليه الصلاة والسلام في كل أحواله تنطق بذلك سيرته العطرة التي سطرها أصحابه ، ورواها الرواة ، وأثبتها الكتاب والمؤلفون..

نعرف ذلك في شمائله العظيمة الجليلة وخصائصه النادرة العظيمة .. كل ذلك بين أيدينا لمن أراد أن يقتبس من أنوار هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما تزال القدوات كلها مقتبسة منه وعلى أثره وهديه عليه الصلاة والسلام ، وليس هذا موضع حديثنا.
وقد أفاض بعض أهل الأدب ، وبعض أهل الإيمان فيما يتصف بوصف النبي صلى الله عليه وسلم في كمالاته ، فجاء بعبارات شائقة جميلة رائقة يمكن لمن قرأها وطالعها أن يخفق قلبه أكثر في مزيد المحبة والتعظيم لرسولنا صلى الله عليه وسلم سيد الخلق أجمعين وخاتم الأنبياء والمرسلين.

ثم نقلة ثانية في : آفاق الصحابة الأقمار
في فلك شمس الهدى ، الذين اقتبسوا من النبي صلى الله عليه وسلم وكان كثير منهم قد جمع الكثير من نواحي العظمة .. أما جيلهم فقد اجتمعت فيه كلهم نواحي العظمة جميعها متفرقة على أولئك النفر الذين اصطفاهم الله عز وجل لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم ، لقد جمعوا علماً وعملاً وتقواً وورعاً وجهاداً ودعوة وكثيراً من أبواب الخير ومع ذلك كما قلنا تفرق في أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الكثير من جوانب العظمة تميز كلاً منهم ميزة عرف بها ، واشتهرت عنه ، رغم ما عنده من المزايا والأوصاف غير ذلك .. فنحن نعرف أو نقول ويدرج على ألسنتنا من أوصاف الصحابة ما يرسم صورة شائقة عظيمة للقدوة التي نتلمسها في مناحي الحياة .. فنحن نعرف رقة أبى بكرٍ ، وعدل عمر ، وحياء عثمان ، وشجاعة علي ، وزهد أبي ذر ، وحنكة خالد بن الوليد ، وذكاء عمرو بن العاص ، وعلم ابن عباس ، وقضاء ابن مسعود ، وحكمة أبي الدرداء ، وأمانة أبي عبيدة ، وشجاعة حمزة وتضحية صهيب ، وثبات خباب ، وصبر بلال .. إلى سلسلة طويلة عظيمة من الأقمار التي اقتبست نورها من شمس الهداية رسولنا صلى الله عليه وسلم فأضاءُ صفحات التاريخ ، وسجلوا من مآثر العظمة الحقيقية لا العظمة المزيفة التي تعنى بالظواهر دون البواطن.

ثم نقلة ثالثة : أعلام على طريق الهدى
فإن تاريخ الأمة الإسلامية لن ينقطع توافر القدوات فيه عبر العصور السابقة كلها حتى العصور التي نسلط الضوء عليها بعض المغرضين من أعداء الإسلام ، أو الذين تشوهت عندهم معالم الحق فيسلطون الضوء على بعض

الفترات التاريخية ؛ ليظهروا فيها أو من خلالها أن الإسلام لن يضرب أمثلة جيدة في مجال الحياة الإنسانية أو الحياة الحضارية حتى هذه الفترات الذي اعتراها بعض الخلل وشيء من التخلف ، أو مخالفة لشرع الله عز وجل لم يكن في عصر من العصور افتقار شديد للقدوات مثلما صارت إليها الأحوال في العصور المتأخرة في المسلمين ؛ فإن جيل التابعين أيضاً توفرت فيهم أعداد هائلة ممن جمعوا علماً غزيراً ، وورعاً كثيراً ، وجهاداً دائماً ، وبذلاً متواصلاً في سبيل نصرة الإسلام والمسلمين ، وهو أمر يضيق المقام عن حصره .. وكما قلت نعرف من ذلك كثيراً ، ونذكر جهاد ابن المبارك ، وزهد سفيان الثوري ، ووعظ الحسن البصري ، وقضاء شريح ، وربانية فضيل بن عياض .. وتمر أجيال وأجيال ، ويأتينا أعلام كالأئمة الأربعة ؛ فنرى فطنة أبي حنيفة ، وهيبة مالك ، وفصاحة الشافعي ، وثبات ابن حنبل .. وتمر بن العصور التي لا يمكن بحال من الأحوال أن نقف ؛ حتى لا نذكر مجرد أسماء أولئك الأعلام حتى في الفترات العصيبة التي مرّت بها ظروف رهيبة لأمة الإسلام حتى في وقت سقوط دولة الإسلام على أيدي التتار ، أو ما مر في فترات الضعف حتى في أواخر الدولة العثمانية أو نحو ذلك .. كان العلماء متوافرون والمجاهدون متكاثرون ، والزهاد والعباد يملئون الآفاق ، وينتشرون في البلاد فلم تكن هناك ندرة ولم يكن هناك شح في أن يجد الناس أو أن يوجد في المجتمع أمثال هذه القدوات الكثيرة.

ثانياً : في عصرنا الحاضر ندرة القدوات

وهذا هو مدخل موضوعنا ، ونعني بالعصر الحاضر الفترة الأخيرة التي ربما إن أردنا أن نؤرخ لها نقول بأنها : من بدايات القرن الهجري ، أو إذا قلنا أو أردنا نؤرخ في الأحداث من بعد سقوط الخلافة الإسلامية العثمانية ، وتسلّط الأعداء على الأمة الإسلامية في هذه الفترة نجد أن مجمل التاريخ المعاصر يعطينا مؤشراً لندرة القدوات ، وهي ندرة لا انعدام ؛ لأن الله سبحانه وتعالى قد اقتضت حكمته بقاء القدوة ، والثبات على الدين ، والقيام بالدعوة والجهاد في سبيل الله على مرّ تاريخ الأمة الإسلامية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .. فالنبي عليه الصلاة والسلام قال : (الجهاد ماضٍ إلى يوم القيامة.(

فهذا وعد وخبر من الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم.

وقال عليه الصلاة والسلام في شأن الأفراد والقدوات : (لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله.(

أي في كل عصر وفي كل فترة من الفترات ، وفي كل ظرف من الظروف طائفة تتمسك بالحق ، وتتشبث به ، وتعلي راية الإسلام ، وتثبت أقدامها على طريق المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وتضرب من أنفسها القدوة كما أشار إلى ذلك الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه عندما قال : " الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم ، يثبتون على الحق ، ويحيون بكتاب الله الموتى .. – إلى أن قال – فكم من قتيل لإبليس أحيوه ، وكم من ضال عن الهدى هدوه ، فما أحسن أثرهم على الناس ، وما أقبح أثر الناس عليهم."

فأولئك الأعلام ، وتلك القدوات تنعدم ولكنها تقل وتندر ، كما ورد في حديث حذيفة رضي الله عنه في صحيح مسلم الذي جاء في آخره) : حتى يقال في بني فلان رجل أمين.(

يعني ترفع الأمانة ، وتنتقص وتقلّ ؛ حتى يقال : في بني فلان رجل أمين ؛ حتى يكون في القوم أو القبيلة والعشيرة واحد منهم هو الذي يتصف بالأمانة ، أما غيره فلا فهذا الأمر يدلنا على مثل هذا ، ولكن القدوات ما تزال تتجدد – بحمد الله – من نعمة الله بأنه اقتضت حكمته بأن يكون هذا الدين هو الدين الخاتم ، وأن يكون المصطفى صلى الله عليه وسلم هو خاتم الأنبياء والمرسلين ، ولذا قال النبي عليه الصلاة والسلام : (إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة من يجدد لها أمر دينها.(

فما تزال القيادات والقدوات الإسلامية تنبعث وتتجدد ، ثم – بإذن الله عز وجل – تتكاثر وتعظم لأن الوعد الإسلامي الرباني النبوي قائم بأن هذا الدين يعم وينتشر ؛ حتى ما يكون بيت وبرٍ ولا مدرٍ إلا ويدخله الإسلام في عزّ عزيز ، أو بذل ذليل .. عزاً يعز الله فيه الإسلام المسلمين ، وذلاً يذل به الشرك والمشركين .. كما ورد في حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم.

ننتقل ثالث إلى : أسباب ندرة القدوات
وكما قلت لن أتحدث عن القدوة ولا عن وصول القدوة ولا على شروط رجل القدوة ؛ فإن هذا الموضوع مذكور منشور منثور بين الناس في كتب ، وفي أشرطة وفي أحاديث كثيرة ، ولكن نقف لنصور الظاهرة وآثارها أسباب ندرة القدوات منها:
أولاً : انتقاص المنهج الإسلامي
ولا شك أن ما سأذكره أسباب كلية عامة لها أثارها المباشرة وغير المباشرة على انعدام كثرة القدوات أو ضعفها أو ندرتها ؛ ومن أولها - بلا شك – انتقاص المنهج الإسلامي ، وذلك في صور كثيرة مثل تغييب الحكم بالشريعة الإسلامية ، واستبدال القوانين الوضعية بها .. فنحن – وللأسف – نرى أن كثيراً من البلاد الإسلامية لم تعد تطبق الشريعة حكماً بالقرآن والسنة ، بل غيرت وبدلت وشرعت أموراً ما أنزل الله عز وجل بها من سلطان ، وفي ظل هذا يكون وجود القدوة سببه مهيأ ، وظرفه غير موأتٍ ، والمعين عليه غير متوفر ؛ لأن كيف نريد أن ننشئ قدوة إسلامية في ظل حكم يحكم الناس بغير شرع الله عز وجل ، ويقودهم على غير طريق الله – سبحانه وتعالى – ونشأ من ذلك العلمانية التي خلاصتها فصل الدين عن الدولة " مالِ قيصر لقيصر ومالِ لله لله "جعلوا الدين في ركيعات محدودة ، وفي حج في العمر مرة ؛ حتى هذه العبادة انتقصوها وأضعفوها ، وجعلوا الدين يغيب عن الحياة ؛ وبالتالي لابد أن تتشوه الشخصية الإسلامية ، والأجيال الإسلامية في ظل هذا الانتقاص المجحف في المنهج الإسلامي ؛ بل إن هذا الأمر قد زاد عن هذا الحد فأصبح الأمر ليس مجرد ترك الحكم بالإسلام ! بل تغيير الأحكام الشرعية ، وسمن القوانين البشرية المعارضة والمناقضة لها ؛ فأصبح هناك تحليل للحرام وتحريم للحلال بصورة واضحة بينة في كثير من البلاد الإسلامية ، وما تشرعه من القوانين سمو ذلك حق التشريع ، وسمو سلطة تشريعية والقوانين التشريعية والتشريعات الدولية ونحو ذلك .. جعلوا فيها حق للبشر أن يشرّعوا ، وأن يحللوا ويحرموا .. وتجد – كما نعرف – في بعض البلاد الإسلامية - للأسف – أن الزنى إذا كان بتراضي الطرفين لا يعد جريمة ولا يعاقب عليه القانون ولا يحق للإنسان أن يأمر أو أن ينهى أو يعترض ؛ فإنه يكون حينئذً متدخلاً في قضية الشخصية بينما تنص القوانين في كثير من البلاد الإسلامية على حرمة وعدم مشروعية تعدد الزوجات ، ومن يتزوج ثانية يكون مخالفاً معرضاً للعقوبة وللقوانين التي تعاقبه على هذه الفعلة المحرمة المجرمة.

في مثل هذه التشريعات ، وفي ظل هذا الانتقاص - كما قلت – تغيب كثير من الأسباب التي تؤدي إلى وجود القدوات ؛ وبالتالي يكون هذا السبب من أسباب ندرة القدوات ، والحديث في مثل هذه الجوانب – وما سيأتي – في جوانب أخرى كثيرة ، وفيه تفريعات عديدة ربما أشير إلى موضوع سابق كان فيه بعض تفصيل لبعض هذه القضايا وما يقرب منها ، وهو درس " أين الخلل " الذي كان في حلقتين متتاليتين.

انتقاص البيئة الإسلامية:

نحن نعرف أن الأشياء لا تأتي ثمرتها إلا بالتكامل ؛ مثلاً : الطالب الذي يدرس في المدرسة لكي يتفوق في الغالب يحتاج إلى أن يتوفر له المعلم الجيد ، والكتاب الواضح والأسرة التي ترعاه ، والأسباب الأخرى التي لا تصرفه عن دراسته وتحصيله ، ولا تشغله بتوافه الأمور أو بأعمال أخرى بتكامل هذه الظروف ، يمكن أن يجتني الثمرة المرجوة كذلك القدوة الإسلامية لا يكون تمامها وكمالها إلا في ظل بيئة إسلامية ؛ أي أن الأوضاع كلها تكون إسلامية حتى يمكن للإنسان المسلم أن يمارس الحياة ويتعود عليها ، فإذا انتشر ذلك بين الناس ظهر منهم متفوقون بارزون يكونون قدوات في ميادين العبادة أو العلم أو العمل أو نحو ذلك .. أما عندما تنتقض البيئة الإسلامية ؛ فأنت إذا ربيت ابنك على الإسلام في البيت : هل يكفيك ذلك إذا كان في البيئة التعليمية لا يجد الإسلام أو يجد من يناقضه في البيئة الاجتماعية كذلك ، ولذلك نجد أن أوضاع كثير من بلاد المسلمين انتقضت فيها البيئة الإسلامية في جانب أو في جوانب بقليل أو بكثير ؛ فالأوضاع الاجتماعية تشهد كثيراً من النقض والاختلاف ، فتجد التبرج في النساء ، والاختلاط في ميادين التعليم أو العمل ؛ وبالتالي تغيب العفة أو الحشمة ، ويغيب - أيضاً – التسامي والخلق الراقي ، ويغيب – أيضاً – ما يتعلق بكل المعاني الأخلاقية التي تضعف وتضمر عندما لا تكون هذه الأوضاع على المنهج الإسلامي أو على الصورة الإسلامية.

الأوضاع التعليمية أيضاً:

كنا نرى فيما سبق قدوات في العلم نرى أن الشافعي تصدر للإفتاء وهو ابن تسعة عشر عاماً ، ونرى من كان يحفظ القرآن وهو ابن خمس وسبع ومن كان يحفظ آلاف الأحاديث وهو لما يبلغ سن البلوغ ، ونرى من العلماء من كان بحر في العربية والشريعة والفقه والأصول ، وحتى أن بعض الناس كانوا يقولون : هذا غير معقول ! وهذه أمور مستحيلة ! كيف كانوا يحفظون ؟ كيف كان الواحد منهم عالماً في كل هذه العلوم التي اليوم يتفرغ الواحد من الناس لعلم واحد ، ولا يحيط إلا بشيء قليل منه ؟

نقول : البيئة التعليمية أيضاً لم تعد نفس البيئة ، التي كانت تنشئ هذه التنشئة ؛ فنحن نعرف تبعثر التعليم بتكثير مواده وتغير مضامينه – وكما أشرت – في مرة من المرات يدرس الطالب من كل بحر قطرة ، ويخرج بآخر الأمر بلا قطرة لا من هنا ولا من هناك ، يأخذ من كل شيء عنوان .. يعني يخرج المتخرج - كما أشرنا – مرة في حديث أو درس يتخرج من الثانوية ، أو درس الكيمياء ودرس الفيزياء ودرس اللغة العربية ، ودرس اللغة الإنجليزية ودرس كذا وكذا .. لكنه لا يعرف في الغالب من هذه إلا أسمائها ويكون جيداً إن كان يعرف ما هو مضمون .. هذه المادة العربية تتحدث عن القواعد والأدب ويمكن أن تتحدث عن الميكانيكا وعن إصلاح الأجهزة أو غير ذلك .. وهذا ليس على سبيل التندر ولكن هو جزء من الواقع!

ويمتد الزمن الطويل من غير تحصيل كثير ، وبالتالي تجد – أيضاً – في كثير من البلاد الإسلامية ضعف مناهج التعليم الإسلامي ، يعني لا يدرسون شيء من الدين كما في مناهج مدارسنا ، وتجد بعض البلاد الإسلامية كل مادة الدين عندهم كتاب واحد ، يضعون فيه كل شيء أضف إلى ذلك وجود مناهج منحرفة تقدم الدين تقديماً خاطئاً ، وبالتالي – أيضاً – هناك تخصصات فاسدة منحرفة ، تعلّم وتدرّس –كما يسمونها – الفنون الجميلة ونحو ذلك .. هذا كله قطعاً لوجود هذه البيئة ، لن يكون هناك قدوات مرجوّة حتى الأوضاع الاقتصادية التي كان فيها الناس على نوع من الزهد والإنفاق في سبيل الله عز وجل ، وتحري الكسب الحلال.

أيضاً انتقضت فشاع الربا وأصبح ظاهراً ، وكثر الغش والاحتكار وزاد سعار الجشع والتعلق بالماديات ، وأصبح الناس – كما يقولون - أخلاقهم تجارية ، لا يعرفك إلا بالدرهم والدينار ، ولا يزنك إلا بالرصيد الذي لك في البنك .. ونحو ذلك!

هذا أيضاً غير كثيرٍ من أوضاع البيئة التي يمكن أن ينشأ من خلالها القدوات.

ثالثاً : الغزو العسكري وتدمير مقومات الأمة

الغزو العسكري الذي حصل في بدايات هذا القرن احتلال لأكثر البلاد الإسلامية ونهب ثرواتها وتدمير البنية النهضوية فهم الذين في كثير من البلاد وضعوا أسس التعليم بحيث لا يؤدي إلى النتيجة المرجوة والاستقلال الحقيقي والنهضة القوية الفتية.

كذلك نعرف كثير من البلاد الإسلامية – وهي بلاد زراعية – لا تكفي نفسها وإنما تكفي كل العالم العربي أو الإسلامي أو أكثره ؛ ومع ذلك تجد أنها نتيجة لما بهر فيها أولئك المحتلون الغاصبون أصبحت اليوم تستجدي قوت يومها وتستجدي القمح الذي كانت تصدره ونحو ذلك مما نعلمه في كثير من أوضاع مجتمعاتنا وبلادنا الإسلامية.

ومن ذلك أيضاً تقطيع الدولة الإسلامية إلى دول كثيرة ، وزرع أسباب الشقاق فيما بينها ؛ حتى لا يكون عندها وقت للبناء وللقوة والفتوة ؛ وإنما تنشغل بمثل هذه الصراعات إضافة إلى تكريس التبعية الكاملة للمحتل.

بعد الاستقلال تجد أن بعض البلاد غلبت عليها اللغة الفرنسية ؛ لأن المحتل كان فرنسياً أو إنجليزياً كذلك ، وكذلك الثقافة تتوجه بتوجهها ، وكذلك البعثات تتوجه في هذا التوجه ؛ وبالتالي كان لهذا أثره الكبير في ضعف هذه الأسباب.

رابعاً : الغزو الفكري وتكريس الهزيمة النفسية

والغزو الفكري – لاشك – أنه أفتك وأكثر أثراً من الغزو العسكري ، الذي تتجسد هذا الغزو الفكري في صورة كثيرة – وهو موضوع مستقل طويل – لكن تتجسد في ربط التخلف بالدين ، وربط التقدم بترك الدين ، وهذا الذي كان خاصةً في بدايات هذا القرن صاحبه انبهار بالحضارة الغربية ، والمدنية التقنية التي بدأت في بلاد الغرب ، واستمرت – ولا زالت – تفتن كثير من القلوب ، وتختطف كثير من الأبصار.

ومن أكثر أمور الغزو الفكري خطورة : إضعاف اللغة العربية ، وبعضضتها ، وتهديم بنيانها حتى إنك اليوم لا تكاد سمع أحد يتحدث اللغة العربية ، ولا يكاد أحد من أهل العمومة والإسلام يستطيع أن يقرأ لك – لا أقول كتاباً

ولا فصلاً ولا صفحةً – لكن فقرة واحدة يقيمها إقامة صحيحة ، ويقرأها قراءة جيدة ؛ فضلاً على أن يكون ملماً بقواعد اللغة أو بأساليب البلاغة أو بميادين الأدب .. ونحو ذلك .